جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين



مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد الثاني والثمانون/ السنة الخمسون
محرَّم – ١٤٤٢هـ / أَيلول ٢٠٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506
P ISSN 1813-0526
للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والثمانون السنة: الخمسون / مُحرَّم – ١٤٤٢هـ / أَيلول ٢٠٢٠م

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإِلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإِنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإِنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأَساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أَمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أَو (إِشكاليَّة البحث) .
- يجب أَن يراعي الباحث صياغة أَسئلة بحثيَّة أَو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أَو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أَهمية بحثه وأَهدافه التي يسعى إِلى تحقيقها، وأَن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أَن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أَن يراعي أَدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إِخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأَفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أَن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أَن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأَسئلة البحثية أَو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أَن يدرك أَنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إِلى المُحكِّم وعلى أَساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أَوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأَوزان يُقبل البحث أَو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إِعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأَفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أَصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــــويـــات

مدى المام هيئة التدريس في الجامعة التقنية الشمالية للوصول الحر للمعلومات (open access) خالد نوري عبد الله وأمثال شهاب احمد وفادية عبد الرحمن خالد	1013- 1029

وظيفة التدريس في مدارس دمشق خلال العصرين الايوبي والملوكي

رياض سالم عواد*

تأريخ التقديم: 2020/7/3 تأريخ القبول: 2020/7/25

ملخص

شهدت دمشق خلال سنوات حكم الايوبيين والمماليك لها ازدهاراً علمياً في أعلى مستوياته، بل أضحت هذه المدينة سراجاً أمتد سنا علومه إلى أبعد بقعة استظلت بالإسلام، وكان من مقومات هذا الازدهار العلمي أنها حوت مئات المؤسسات التعليمية إبّان المدّة مدار البحث، كالمساجد التي مثّلت منابر العلم، إذ بلغ عددها زهاء (629) مسجداً، وكذلك (26) داراً للقرآن الكريم والحديث الشريف، و(127) مدرسةً فقهية، و(3) مدارس للطب، فضلاً عن عشرات المؤسسات التعليمية الاخرى كالربط، والخوانق، والزوايا، والترب، ولا شك أن مثل هكذا عدد كبير من مراكز التعليم ضرورة أن يُغطى بعدد أكبر من المدرّسين، وهو ما أضفى أهمية قصوى لوظيفة التدريس، التي أضحت محط عناية السلطة الدمشقية وبطانتها آنذاك، ومن المقوّمات الأخرى التي تمتّعت بها تلك المدينة أنها أنجبت واحتضنت العشرات من الأسر أو البيوتات العلمية التي توارث شيوخها وظيفة التدريس من جيل إلى آخر، ممّا ساهم في ابقاء هذه المؤسسات التعليمية قائمة وراسخة بذات الرصانة على مدى عدّة قرون ما دامت هذه الوظيفة مستمرة بيد العلماء بتقادم السنين.

الكلمات المفتاحية : علمية؛ تجاة؛ حركة

أسباب الدراسة ومنهجها:

خلال البحث في ثنايا المصادر التي تناولت التاريخ الحضاري بجانبه العلمي لدمشق، وتتبّع مسار أقلام المؤرخين الذين تجولّوا بين اورقتها، تقصيّاً عن عشرات المراكز العلمية فيها، والخوض في سيرة حياة مدرّسيها الذين تخطّت اعدادهم المئات خلال المدّة مدار البحث، لوحظ أمراً غاية في الأهمية ألا وهو ان كل مجموعة من هؤلاء المدرّسين

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة كركوك .

كانوا ينتمون لأسرة علمية واحدة تنحدر من جدٍ أعلى، ممّا دفعنا الى الغور في أصول هذه الأسر العلمية التي تبيّن انها كانت حريصة أشد الحرص على تقلّد علماؤها وظيفة التدريس، ليعكس ذلك مدى اهمية هذه الوظيفة آنذاك، ومن ثمّ فرز دراسة خاصة عن هذه الاسر العلمية التدريسية ان صح التعبير، وهو ما حدّد المنهجية التي ستسير عليها الدراسة، حيث سيقتصر العرض والنقاش فيها فقط على البيوتات العلمية التي انجبت علماءا كرّسوا حياتهم لوظيفة التدريس في مدارس دمشق لأجل تحقيق أهداف سنذكرها تباعاً، وهنا لابد من التنويه أنه تمّ عرض المدرسين حسب كل أسرة على حدة، وتمّ ترتيب تسلسل عرضهم حسب أقدمهم وفاةً ضمن الأسرة الواحدة.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة في اختيارها وطرحها لهذا الموضوع، وإعتمادها هذه المنهجية في البحث الى تحقيق جملة من الأهداف أهمّها :

01 بيان أهمية هذه الوظيفة وانعكاس أثرها على ازدهار الحركة العلمية بدمشق .

02 التعريف بأشهر الأسر أو البيوتات العلمية التدريسية الدمشقية الأصل، أو الاسر العلمية التي رحلت إلى دمشق فنُسبت إليها .

03 إظهار حجم الازدهار الحضاري الذي شهدته مدينة دمشق لاسيما في المجال العلمي، بعد احتضانها لعددٍ كبيرٍ من المؤسسات التعليمية التي استقبلت الكثير من المدرّسين والطلبة من مختلف بلدان العالم الاسلامي آنذاك .

04 التعرّف على أعلام المشايخ في دمشق وإسهاماتهم الدينية والإدارية والعلمية فيها.

المقدمة :

كانت وظيفة التدريس في مقدّمة الوظائف المعتمدة في دمشق، حتى إنّها تعتبر العامل المشترك بين أغلبية الوظائف التي تستند عليها النظم الدينية والسياسية والإدارية والعلمية لتلك المدينة، حيث كان القاضي، والمحتسب، ومفتي دار العدل، والوزير، ونقيب الأشراف، ووكيل بيت المال، وكاتب ديوان الإنشاء، والناظر، هو مدرّساً في ذات الوقت، أو بديهياً نجد أن صاحب هذه الوظائف قد تخرج من تحت يد شيخه المدرس ليكون مؤهّلاً للتدريس، ولعظيم أهمية وظيفة التدريس في دمشق أكّد بعض واقفي المؤسسات التعليمية فيها على حصر التدريس في وقفهم باسم شيخ معيّن لمكانته العلمية الكبيرة، ومن ثم

الابقاء على وظيفته داخل عائلته، فكان ذلك سبباً مباشراً في بقاء هــذه الوظيفــة داخــل عائلة واحدة، وفي نفس الوقت حرصت كثير من بيوتات دمشق العلمية على بقاء وظيفــة التدريس داخلها لعدّة قرون، فتوارثها افراد الاسرة مــن الاب الــى بعــض مــن الابنــاء والأحفاد، كما سجّلت المصادر التاريخية شواهداً كثيرة على توارث الأسر العلمية وظيفــة التدريس بحسب التخصّص العلمي، فظهرت أسر علمية اختصت بتدريس علــوم القــرآن الكريم، أو علوم الحديث الشريف، أو تدريس فقهاً معيّناً، أو الطب، كما تنافست الكثير من العوائل العلمية على مسك وظيفة التدريس داخل المدرسة الواحدة، ممّا أدى الــى تواجــد مدرسين أكثر من بيت علمي في تلك المدرسة، أو تدريس الأسرة العلمية في أكثــر مــن مدرسة، ممّا يظهر لنا ذلك اهمية هذه الوظيفة وقتذاك .

وعليه فإن الدراسة قد انتظمت في اربعة مباحث تناول المبحث الأول منهــا مراتــب وظيفة التدريس في المؤسسات التعليمية الدمشقية كالمدرّس، ونائب المدرّس، والمعيــد، مع بيان شواهد منتقاة حول اشهر من تولّى هذه المراتب من علماء الاسر العلمية آنذاك، أمّا المبحث الثاني فإنه عرض أمثلة عن الأسر العلمية التي اشتهرت بتدريس علماً معيّناً، بينما ناقش المبحث الثالث أثر واقف المؤسسة التعليمية في تعيين متقلّدي هــذه الوظيفــة داخل الاسرة الواحدة، في حين طرح المبحث الرابع صور تنافس الاســر العلميــة علــى وظيفة التدريس داخل المدارس الدمشقية ، ثم أختتمــت الدراســة بجملــة مــن النتــائج المستخلصة منها .

المبحث الأول : مراتب وظيفة التدريس:

كانت وظيفة التدريس في المؤسسات التعليمية الدمشــقية تنقســم إلــى مراتــب أو عناوين متسلسلة في ترتيبها أعلاها مرتبة المدرّس ثمّ يليه نائبه، ثمّ مرتبة المعيد، وكــل واحدة من هذه المراتب او العناوين قد اشتهرت بها البيوتات العلمية في دمشق وهي :

أولاً – المدرّس:

أعلى مراتب مهنة التدريس، ولأهميتها أوردت لنا المصادر التاريخيــة العديــد مــن الشواهد التي بيّنت بقاء هذه الوظيفة بيد اسر علمية معروفة داخل مدارس دمشق منها:

01 اسرة الشيخ المقرئ الفقيه اللغوي الاديب قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز محمد الأذرعي الدمشقي (ت677هـ/ 1278م)، من الاسر العلمية الكبيرة في دمشق، ذات الرئاسة والعراقة، أصلها من أذرعات في بلاد الشام، تولّى شيوخها وظيفة التدريس بصفة مدرّس في المؤسسات التعليمية الدمشقية، منهم شيخ الحنفية وعالمهم صدر الدين سليمان، وهو من المقرّبين للملك الظاهر بيبرس، فعيّنه قاضياً للقضاة في القاهرة، ثمّ عاد الى دمشق قاضياً عليها أيضاً، تولّى وظيفة التصدير بالجامع الأموي، أمّا عمله برتبة مدرّس في دمشق، فإنه أوّل من أمتثل لها في المدرسة الظاهرية الجوانية، فضلاً عن المدارس الاخرى وهي المدرسة المقدّمية الجوّانية، والقيمازية، والعذراوية(1).

ثمّ استلم عنه وظيفة التدريس برتبة مدرّس ابنه الشيخ الفقيه تقي الدين أحمد بن سليمان الأذرعي الدمشقي (ت685هـ/ 1286م)، حيث عمل بها في المدرسة المقدّمية الجوّانية، والقليجية، والشبلية، كان فاضلاً، أخذ فقهه عن أبيه وأعيان الفقه بدمشق، فتصدّر للإفتاء والتدريس زمناً طويلاً، فأنتفع به طلبة العلم(2).

وتولّاها أيضاً أخوه الامام العلّامة المفتي شمس الدين محمد بن سليمان الأذرعي الدمشقي (ت699هـ/ 1299م)، كان من أعلام الفقه، قليل المخالطة، أنشغل بالإفتاء والتدريس لأكثر من ثلاثين سنة، فعمل برتبة مدرّس في المدرسة النورية الكبرى، والمقدّمية الجوّانية بدمشق، فضلاً عن تولّيه نيابة القضاء فيها عن والده صدر الدين سليمان(3).

وممّن تقلّد منهم رتبة المدرّس الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت927هـ/ 1520م)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1990م): 1/ 418، 422، 458 .

(2) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت874هـ/ 1469م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي تح: محمد محمد أمين، (مصر: د.ت): 1/ 310؛ النعيمي، الدارس: 1/ 438، 458.

(3) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (د. م : 2002م): 15/ 931؛ النعيمي، الدارس: 1/ 458 .

الأذرعي الدمشقي (ت722هــ/ 1322م)، أحد أئمة الحنفية وفضلائهم، صاحب برّ وإحسان، خطب بجامع الافرم بدمشق، وناب في القضاء عشرين سنة، وحُمدت سيرته فيه لسدادة أحكامه، واشتغل بمهنة التدريس كمدرّس في المدرسة المعظّمية، والقليجية، واليغمورية والظاهرية الجوانية، فضلاً عن تولّيه نظرها[1].

وتولّى بعده ابنه الشيخ القاضي علاء الدين علي بن محمد بن محمد الأذرعي الدمشقي (ت746هــ/ 1345م) تدريس المعظّمية والقليجية برتبة مدرّس، فضلاً عن اعتلاءه منبر جامع الافرم خطيباً، وتقلّده نيابة القضاء بدمشق، وبهذا يلاحظ أنه اخذ عن أبيه معظم وظائفه إلى جانب وظيفة التدريس[2].

ثم اشتغل بعده بمهنة التدريس أخيه الشيخ المعمّر الفقيه اللغوي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد الأذرعي الدمشقي (ت783هــ/ 1381م)، قاضي القضاة بدمشق، الذي جمع بين العلم والعمل، فدرّس بعدّة مدارس دمشقية منها المدرسة القصاعية برتبة مدرّس[3].

ومنهم الشيخ الفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمود بن أحمد الدمشقي (ت837هــ/ 1433م)، انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، وكان قوي النفس شهماً، حافظاً لكثير من الأحكام، وأسند إليه منصب قاضي القضاة الحنفي بدمشق، وكذلك نظر الجيش، كما عرضت عليه وظيفة كتابة السرّ فأعتذر، وقد تولّى وظيفة التدريس برتبة مدرّس في أهم المدارس الدمشقية وهي المدرسة الظاهرية الجوّانية، والخاتونيتين

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري (ت774هــ/1372م)، البداية والنهاية، تــح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيــع والإعــلان (د.م: 1997م): 18/ 219.

(2) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت852هــ/ 1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر ابــاد: 1972م): 4/ 141؛ النعيمي، الدارس: 1/ 439، 450 .

(3) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: محمد عبد المعيــد خــان، ط2، دار الكتــب العلمية (بيروت: 1986م): 1/ 243؛ النعيمي، الدارس: 1/ 436 .

البرّانية والجوّانية، والقصاعية، والنورية الكبرى، والصادرية[1].

ثمّ استلم عنه أبنه الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود الاذرعي الدمشقي (ت840هـ/ 1436م) وظيفة التدريس برتبة مدرّس في المدرسة الخاتونية الجوّانية، فضلاً عن توليه منصب قضاء القضاة بدمشق بعد أبيه الشهاب أحمد شيخه في الفقه[2].

02 اسرة الشيخ المحدّث الفقيه شهاب الدّين أَحمد بن علي الدمشقي (ت738هـ/ 1337م)، وهي أسرة علمية دمشقية الأصل، توارث علماؤها وظيفة التدريس برتبة مدرّس في مدارس دمشق، ومنهم الشيخ الشهاب أحمد شيخ الأحناف بدمشق، كان فاضلاً ديّناً بارعاً بالمذهب، وعمل مدرّساً في مدرسة المقصورة الحنفية بالجامع الاموي[3].

وكذلك أخوه الشيخ برهَان الدّين ابو اسحق ابراهيم بن علي الدمشقي (ت744هـ/ 1343م)، طلب علوم الحديث والفقه والعربية، فحدّث وبرع في المذهب، وذهب الى مصر متولّياً قضاءها لمدّة عشر سنين، ثمّ عاد إلى دمشق ليعمل مدرّساً في المدرستين العذراوية والخاتونية[4].

ثمّ أخذ عنه أبنه الشيخ الفقيه أمين الدين محمد بن ابراهيم الدمشقي (ت776هـ/ 1374م)، وظيفة التدريس يرتبة مدرّس في العذراوية والخاتونية، وهو من أعيان الدماشقة وصدورهم، أوكلت له المناصب الجليلة بدمشق وهي الحسبة ونظر المسجد الاموي[5].

ومنهم الشيخ المحدّث كمال الدين ابو العباس أحمد بن علي الدمشقي (ت802هـ/

---

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 484)

(2) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/ 1496م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت: د. ت): 7/ 106؛ النعيمي، الدارس: 1/ 396 .

(3) ابن كثير، البداية:18/ 395 ؛ النعيمي، الدارس: 1/ 466 .

(4) ابن حجر العسقلاني، الدرر: 1/ 51 .

(5) ابن حجر العسقلاني، إنباء:: 1/ 89 .

1399م)، الذي عمل برتبة مدرّس في المدرسة العلمية بدمشق[1].

ثانياً – نائب المدرّس :

وهي بمنزلة رتبة المدرّس علميّاً ودونها وظيفيّاً، وذلك لأن متولّيها يتم تعيينه مدرّساً بديلاً ينوب عن المدرّس الأصيل في حال غيابه عن المدرسة لعذر ما، وقد تقلّد شيوخ الاسر العلمية بدمشق هذه الوظيفة منها اسرة الشيخ المحدّث الفقيه جمال الدين أَبو المحاسن يوسف بن محمد بن قَاضِي شهبة الدمشقي (ت789هــ/ 1387م)، وهي أسرة علمية دمشقية مشهورة، وردت أسماء علماؤها في الكثير من قوائم المدرّسين بمدارس دمشق، منها أنهم تصدّوا للتدريس بصفة نائب مدرّس تعويضاً عن الفراغ الذي يحدثه غياب المدرّس الأصيل في تلك المدرسة، فمن علماء هذه الاسرة الذين تولّوا هذه المرتبة الشيخ جمال الدين، كَانَ ديّناً خيّراً، منجمعاً عن الناس، حسن الشكل، سمع الحديث الشريف في دمشق، وأخذ الفقه عن أبيه ومشايخ عصره، كما تولّى الوظائف الجليلة الاخرى بدمشق وهي وظيفة تصدير الجامع الاموي[2]، ونيابة القضاء، فضلاً عن تدريسه بمرتبة نائب مدرّس في المدرسة المجاهدية الجوّانية[3].

وتقلّد بعده ابن أخيه نيابة التدريس أيضاً وهو الشيخ المفسّر الخطيب قاضي القضاة بدمشق تقيّ الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الدمشقي (ت851هــ/ 1447م)، أشهر رجال بيته، برع في الفقه فساد به بلاد الشام، كما حدّث ببيت المقدس ودمشق، تميّز

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 429 .

(2) التصدير: وظيفة دينية موضوعـها الجلوس بصدر المجلـس في الجامع أو نحـوه، ويجلس المتكلـم أمامه على كرسـي، وكأنه يقرأ عليه فيفتتـح بالتفسير وغيره، فعندما ينتهـي من كلامه ويسكـت، يأخذ المتصدّر في الكلام علـى ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع عليها الكلام ويستدرج من ذلك إلى ما سنح له، ينظر: القلقشندي، أحمد بن علـي بن أحمد (ت821 هــ/1418م)، صبـح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يـوسف علي طويل، دار الفكـر (دمشق: 1987م): 11/ 247 .

(3) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت851هــ/ 1447م)، طبقات الشافعية، عالم الكتب (بيروت: 1986م): 3/ 183 .

بحدّة الذكاء، وفصاحة اللسان، والديانة، وطيب الخلق، حافظاً لتواريخ الرجال وأخبار البلاد، من تصانيفه الشهيرة كتاب (تاريخ ابن قاضي شهبة)، و(طبقات الشافعية)، (كفاية المحتاج)، فضلاً عن شرحه كتاب (التنبيه) في الفقه، أمّا دوره في التدريس بدمشق، فإنه درّس في سنة (830هـ/ 1426م) بصفة نائب مدرّس في المدرسة الشامية البرّانية، وكذلك في المدرستين الشامية والظاهرية الجوّانيتين نيابة عن الشيخ الخطيب بهاء الدين محمد بن عمر بن حجي الحسباني (ت850هـ/ 1446م)، وكذلك درّس برتبة نائب مدرس سنة (838هـ/ 1434م) في المدرسة الشامية الجوّانية نيابة عن الشيخ المحدّث اللغوي كاتب السر بدمشق ومصر قاضي القضاة كَمَال الدين ابو المعالي محمد بن محمد بن البارزي (ت856هـ/ 1452م)، ولو أمعنّا النظر في المدّة الممتدّة بين السنتين اللتين درّس فيهما التقي ابن قاضي شهبة بصفة نائب مدرّس، نلاحظ أن نيابة التدريس هي بمنزلة المدرّس ولا علاقة لتقادم السنين بترقّي المدرس من نائب مدرّس إلى مدرّس أصيل، والشاهد على ذلك أن التقي كانت له تداريس بمرتبة مدرّس لا نائب مدرّس في مدارس اخرى بذات الوقت كالمدرسة المسرورية، والمجاهدية، والناصرية، والأمجدية، والركنية، والعذراوية، والطبرية، والأمينية، والتقوية، والاقبالية[1].

ثمّ أخذ عنه تداريسه ومنها نيابة التدريس أبنه الشيخ المسند المفسّر المؤرّخ بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت874هـ/ 1469م)، تتلمذ على والده التقي فأخذ عنه الحديث الشريف والفقه، وبرع فيهما، كما تعاطى الاقراء فانتفع به الطلبة، وقد تولّى وظيفة التدريس بمرتبة نائب مدرّس في المدرسة الشامية البرانية نيابة عن الشيخ الخطيب بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عمر بن حجي الحسباني (ت850هـ/ 1446م)، وابنه الشيخ المحدّث نجم الدين ابو زكريا يحيى بن عمر بن حجي الحسباني (ت888هـ/ 1483م)[2].

ثالثاً – المعيد :

---

(1) السخاوي، الضوء : 11/ 21؛ النعيمي، الدارس:1/ 112، 234، 323 .

(2) السخاوي، الضوء : 7/ 155، 10/ 252؛ النعيمي، الدارس: 1/ 223 .

وهي من مراتب وظيفة التدريس منزلة متولّيها العلمية والوظيفية دون منزلة المدرّس ونائبه، والمعيد لغة من الإعادة، ومهمّة متقلّدها إعادة الدرس الذي ألقاه المدرّس على الطلبة زيادة في الفهم(1)، وقد اشتهرت العديد من الاسر العلمية بهذه المرتبة منها:

01 اسرة الشيخ العلّامة المسند الفقيه الاديب تاج الدّين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري الدمشقي (ت690هـ/ 1291م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من مصر، أعاد علماؤها في مدارس دمشق منهم الشيخ تاج الدّين عبد الرحمن، تعانى الفقه منذ نعومة أظفاره، وما ان شبّ حتى برع في المذهب فغدى فقيه الشام، ومن خصاله كان كريماً حد الإفراط، معظّماً في نفوس الخلق، له تواضع ولطافة، ترك أثراً ملموساً في النثر والنظم، أشهر كتبه (التاريخ)، وشرح (التنبيه)، و(الاقليد)، إمّا دوره في التدريس فإنه تولّى تدريس المدرسة الناصرية بمرتبة معيد بُعيد إنشاؤها في دمشق(2).

وتولّى الاعادة أيضاً ابنه الشيخ المحدّث المؤرّخ الشاعر النحوي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري الدمشقي (ت729هـ/ 1328م)، تفقّه واخذ العربية عن أبيه وغيره حتى أتقنهما، وتوقّفت عنده رئاسة المذهب، ومن تصانيفه تعاليق على كتابي (التنبيه)، و(مختصر ابن الحاجب)، وألّف أيضاً كتاب (الاعلام بفضائل الشام)، و(باعث النفوس) وغيرها، وقد درّس في المدرسة البادرائية بصفة معيد عن والده المدرّس الاصيل فيها، ووُصف في درسه أنه كان طويل النفس فيه، فصيح اللسان، عذب العبارات، يوردها كأنما يقرأ الفاتحة، متودّداً الى طلبته، مثنياً عليهم(3) .

02 أسرة الشيخ المسند الفقيه جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن ابراهيم بن جملَة

(1) تاج الدين السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771 هـ/ 1370م)، معيد النعم ومبيد النقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت: 1986م): ص 108 .

(2) النعيمي، الدارس: 1/ 80؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت1396هـ) الأعلام، ط15، دار العلم للملايين (د. م: 2002م): 3/ 293 .

(3) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت : د.ت): 4/ 85؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر :1/ 36 .

الدمشقي (ت738هـ/ 1337م)، وهي أسرة علمية دمشقية من قرية المحجّة بحوران، تولّى بعض علماؤها وظيفة التدريس بصفة معيد منهم الشيخ جمال الدين يوسف، كان عالماً ديّناً ماهراً في الفقه ذا حرمة وتودّد الى الناس، حدّث في المدينة المنورة ودمشق، ونُصّب قاضياً للقضاة، وتولّى وظيفة التدريس كمعيد في المدرسة القيمرية(1).

وأخذ عنه أبن أخيه الشيخ المحدّث الخطيب جمال الدِّين ابو الثناء محمود بن محمد بن ابراهيم الدمشقي (ت764هـ/ 1362م)، تدريس القيمرية إعادة بعد أن تنازل له عمه عنها، وقد كان الشيخ جمال الدين محمود فاضلاً بارعاً في الفقه ذاعت فتاويه في الاوساط، ألّف كتاب (الوقاية الموضحة لشرف المصطفى)، وأوكلت له أيضاً خطابة وتصدير المسجد الأموي، فضلاً عن نيابة القضاء عن عمّه الجمال يوسف(2).

ومّما سبق أعلاه كان عرضاً مقتضباً لمراتب مهنة التدريس، مشفوعٌ بنماذجٍ منتقاة عن تقلّد شيوخ بيوتات دمشق العلمية لهذه المراتب داخل المدارس الدمشقية، وهو غيض من فيض لما بقي من الشواهد التي تعذّر عرضها.

المبحث الثاني: وظيفة التدريس حسب التخصّص العلمي :

انشأت كثير من المدارس في دمشق لتدريس مختلف العلوم، ولكن عند انشائها تمّ تحديد نوع العلوم التي سوف تدرّس فيها، حيث اقيمت بعض المدارس لأجل تدريس علوم القرآن الكريم، وبعضها الآخر انشأت لتدريس علوم الحديث الشريف، في حين وقفت مدارساً غيرها لتدريس علوم الفقه، بل تعدى الأمر الى حصر وظيفة هذه المدارس الفقهية بتدريس فرع معيّن من فروع الفقه، كمدارس تدريس الفقه الشافعي، أو مدارس تدريس الفقه الحنفي وغيرها، وبالمقابل انعكس هذا التطوّر في العملية التعليمية على طبيعة وظيفة التدريس آنذاك، إذ لابد أن يكون المدرّس الذي يُعيّن في هذه المدارس أن يتخصّص بتدريس العلم الذي انشأت لأجله تلك المدرسة، وهو ما يحاكي وظيفة التدريس في عصرنا الحاضر، فإذا اريد تعيين مدرّساً ما بوظيفة التدريس يجب أن يُنظر إلى

(1) ابن قاضي شهبة، طبقات :2/ 301؛ النعيمي، الدارس: 1/ 277 .
(2) ابن قاضي شهبة، طبقات :3/ 137 .

تخصّصه العلمي الذي سوف يختص بتدريسه عند تقلّده هذه الوظيفة، وبالعودة الى حال وظيفة التدريس وتطوّرها في دمشق إبّان السنوات محور البحث، نلاحظ أنّ العديد من الاسر العلمية التدريسية قد اختصّت بتدريس علماً معيّناً، مواكبة منها للتطوّر الذي طرأ على وظيفة التدريس حينذاك، ممّا أدى إلى ظهور اسر علمية دمشقية أختصّت بتدريس علوم القران الكريم، وأخرى اختصّت بتدريس الحديث الشريف، بينما أختصّت اسر غيرها بتدريس الفقه بحسب مذاهبه، وغيرها من التخصّصات العلمية، ومن أمثلة الاسر العلمية التي تقلّد علماؤها وظيفة التدريس بحسب التخصّص العلمي هي :

أولاً: علم الاقراء:

وهو أحد أبرز علوم القرآن الكريم، إذ نال العناية المستحقّة من قبل الاسر العلمية الدمشقية، فحرصت على تدريس هذا العلم كأسرة الشيخ المقرئ أَحمد بن عبد الله البغدادي الأصل الدمشقي (ت492هـ/ 1098م)، وهي الاسرة التي جدّ شيوخها بطلب علم الاقراء وتدريسه للطلبة في دمشق، مجسّدة بالشيخ أحمد المكنّى بأبي البركات، كان من فضلاء المقرئين الدماشقة، محمود السيرة في درسه والأخذ عنه(1).

ثمّ أخذ عنه وظيفة تدريس علم الاقراء بدمشق أبنه الشيخ المقرئ هبة الله بن أحمد بن عبد الله البغدادي الدمشقي (ت536هـ/ 1141م)، وقد كان خير خلف لخير سلف، ملأ الفراغ الذي أحدثه غياب ابيه في تدريس علم الإقراء وبكل جدارة لدرجة أنه عُيّن مقرئاً للمسجد الأموي، وكان من العدول الثّقات المحققّين، تخرّج على يده خلق كثير في علم الاقراء بدمشق(2).

ثمّ تولّى بعده وظيفة تدريس علم الاقراء حاذياً حذوه أبنه الشيخ المقرئ ابو طالب

(1) المصنعي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب، ط1، مكتبة صنعاء الأثرية (اليمن: 2005م): 1/ 104 .

(2) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت: 2000م): 13/ 203؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير (دمشق: 1986م): 6/ 187 .

الخضر بن هبة الله بن أحمد بن عبد الله البغدادي الدمشقي (ت578هـ/ 1182م)، وقد درّس علم الاقراء بعد ابيه في دمشق وكذلك في بغداد[1].

ثانياً: علوم الحديث الشريف :

اختصّت العديد من بيوتات دمشق العلمية بتدريس علوم الحديث الشريف، وحرصت على الاحتفاظ بوظيفة تدريسه في المدارس الدمشقية، فمن هذه البيوتات بيت الشيخ المحدّث ابي عمر بن قدامة المقدسي الاصل الدمشقي (ت607هـ/ 1210م)، أشهر بيوتات الحديث الشريف بدمشق، إذ أختصّ شيوخه بتدريس هذا العلم في مدارس دمشق العريقة كدار الحديث الاشرفية البرّانية، وهم:

الشيخ المحدّث شمس الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد المقدسي الدمشقي (ت682هـ/ 1283م)، أول من درّس في الدار بعد وقفه، تتلمذ على يد أبيه محمد وعمّه موفق الدين، كان ظريف المجالسة، بشوشاً محبوباً، مجلسه عامراً بالمحدّثين وأهل الدين، وهو أول من تولّى قضاء الحنابلة بدمشق مكرهاً[2].

ثمّ استلم عنه وظيفة تدريس ومشيخة الحديث الشريف في الدار المذكورة ابن اخيه الشيخ المحدّث ابو الفضل الْحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت695هـ/ 1295م)، كان حسن الهيئة، صاحب قامة، لطيف، خلوق، ذا سيادة ومروءة، تولّى قضاء الحنابلة بدمشق، فحسُنت سيرته في الاحكام[3].

وكذلك أختصّ الشيخ المحدّث قاضي القضاة تَقِيّ الدّين ابو الفضل سليمان بن حمزة بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت715هـ/ 1315م) بتدريس الحديث في الاشرفية البرّانية، وإنّه وُصف بالديانة والتواضع، وسعة الرواية، وببراعة المذهب، فأفتى خمسين سنة، وحكم قاضياً بدمشق عشرين سنة، أمّا درسه في الاشرفية فقد كان محموداً جيّد الايراد له[4].

---

(1) الصفدي، الوافي :13/ 203؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات :6/ 430 .

(2) الذهبي، تاريخ :15/ 469؛ النعيمي، الدارس: 1/ 38 .

(3) الصفدي، الوافي :12/ 59.

(4) النعيمي، الدارس: 1/ 40.

ثمّ تولّى بعده وظيفة تدريس الحديث الشريف في الدار الاشرفية أبنه الشيخ المحدّث عز الدين محمد بن سلَيمَان بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت731هـ/ 1330م)[1].

ثم انتقلت من بعده لأبنه الشيخ بدر الدّين الحسن بن محمد بن أبي عمر المقدسي الدمشقي (ت770هـ/ 1368م)، نائب القضاء بدمشق[2].

ثالثاً: علم الفقه ومذاهبه :

اشتهرت مدينة دمشق بكثرة المدارس الفقهية المقامة فيها خلال المدّة محور الدراسة، إذ بلغ عددها نحو (60) مدرسة شافعية، و(52) مدرسة حنفية، و(11) مدرسة حنبلية، و(4) مدارس مالكية، وبالتالي لابد من وجود كادر تدريسي متخصّص في مجال كل فرع من فروع الفقه لتغطية هذا العدد من المدارس، لذلك زخرت المدينة بأعداد كبيرة من الاسر العلمية التي اختصّت بتدريس الفقه بحسب المذاهب المذكورة، فمن هذه الاسر التي تولّت وظيفة تدريس فروع الفقه في المدارس الفقهية الدمشقية :

01 الفقه الشافعي :

- اسرة الشيخ الفقيه شهَاب الدَّين ابو العباس أحمد بن صالح البقاعي الزهري الدمشقي الشافعي (ت795هـ/ 1392م)، وهي اسرة شامية من البقاع بين بعلبك وحمص، قريبة من دمشق[3]، اختصّ علماؤها بتدريس علم الفقه على المذهب الشافعي في المدرسة العادلية الصغرى الشافعية منهم الشيخ شهَاب الدَّين أحمد المذكور، والذي جدّ في طلب الفقه بدمشق، حتى مهر به، وغدا شيخ الشافعية بدمشق، ومدرّس هذا المذهب في مدارس دمشق الشافعية كالمدرسة العادلية الصغرى، والعصرونية وغيرها، وذاع صيته في الافتاء فعُيّن في منصب مفتي دار العدل بدمشق، وتولّى أيضاً نيابة

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 41 .

(2) ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت884هـ/ 1479م) المقصد الارشد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض: 1990م): 1/ 335 .

(3) ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن القطيعي (ت739هـ/ 1338م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ط1، دار الجيل (بيروت: 1991م): 1/ 211 .

القضاء، ثم أستقل به قاضياً للقضاة الشافعية، ومن خصاله الحميدة أنه كان كثير التّلاوة، عابداً، مقتصداً في معاشه، ذا هيبة ورياسة[1].

وكذلك تولّى تدريس الفقه وفق المذهب الشافعي ابنه الشيخ الفقيه تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن أحمد بن الزهري الدمشقي الشافعي (ت824هـ/ 1421م)، تفقّه على والده، وصار سيّد فقهاء عصره، وأثنوا عليه فاختير لمنصب افتاء دار العدل بدمشق، ثمّ ناب في القضاء الشافعي مدّة طويلة، فباشر في وظيفته هذه خير مباشرة، ثمّ تفرّغ بعد ذلك للإفتاء في الشبّاك الكمالي بجامع بني أمية، ومن صفاته كان حسن التدبير والرأي، هادئاً، محتشماً، كثير الأدب، طاهر اللسان، أمّا تدريسه للفقه الشافعي، فقد درّسه في حياة أبيه في المدرسة العادلية الصغرى[2].

وأخذ عنه تدريس الفقه الشافعي أبنه الشيخ الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد الزهري الدمشقي الشافعي (ت833هـ/ 1429م) في العادلية الصغرى، وقد اسندت إليه وظيفة قضاء العسكر بدمشق[3].

وشاركه أيضاً في تدريس الفقه الشافعي في العادلية الصغرى أخوه الشيخ الفقيه جلال الدين محمد بن عبد الوهاب بن أحمد الزهري الدمشقي الشافعي، كان صاحب ذكاء، قرأ التمييز وجمع الجوامع في الفقه[4].

02 الفقه الحنفي :

- اسرة الشيخ الفقيه عزيز الدين ونور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الكرم عبد الرحمن السنجاري الدمشقي الحنفي (ت646هـ/ 1284م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من سنجار في اقليم الجزيرة الفراتية، ساهم علماؤها في تدريس الفقه الحنفي في مدارس دمشق الحنفية كالمدرسة الفرخشاهية، منهم الشيخ العز محمد سيّد الأسرة، وُلد ونشأ بسنجار، ثمّ رحل إلى الموصل طالباً للعلم، ومنها إلى حلب مدرساً سنة (589هـ/

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات :8/ 577 .
(2) ابن حجر العسقلاني، انباء :3/ 260 .
(3) السخاوي، الضوء : 1/ 375.
(4) النعيمي، الدارس: 1/ 281.

1193م)، ثمّ انتقل إلى دمشق التي تولّى فيها تدريس الفقه الحنفي في المدرسة الفرخشاهية، وكذلك أوكل له منصب نائب القاضي الحنفي بدمشق سنة (617هـ/ 1220م)[1]، وقد حرص الشيخ العز السنجاري على توريث علومه لأولاده ومنها الفقه الحنفي، حيث تلّوا تدريسه من بعده في المدرسة الفرخشاهية وهم :

الشيخ الفقيه كمال الدين أبو الفضائل عبد اللطيف بن محمد السنجاري الدمشقي الحنفي (ت659هـ/ 1260م)، تولّى تدريس الفقه الحنفي في المدرسة الفرخشاهية في حياة والده، واستمر بها مدرّساً إلى حين تنازله عنها لأخيه الشيخ الفقيه عماد الدين عبد الرحيم بن محمد السنجاري الحنفي، الذي درّس فيها الفقه الحنفي حتى وفاته سنة (ت669هـ/ 1270م)[2].

ثمّ تولّى من بعده تدرس الفقه فيها أخوهم الثالث الشيخ الفقيه تاج الدِّين ابو المعالي وأبو محمد عبد القادر بن محمد السنجاري الحنفي الدمشقي (ت696هـ/ 1296م)، جدّ في طلب الفقه حتى مهر فيه، وكذلك تعانى الحديث الشريف فسمع وحدّث، تولّى قضاء الحنفية بحلب، ثمّ عاد إلى دمشق متولّياً نظر أوقافها، وتدريس الفقه الشافعي في المدرسة الفرخشاهية بعد أخيه الكمال عبد اللطيف، ليستمر بها حتى سنة (674هـ/ 1275م) حيث عاد الى حلب مثواه الاخير[3].

03 الفقه الحنبلي :

- اسرة الشيخ الفقيه شمس الدَّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت751هـ/ 1350م)، وهي اسرة علمية عريقة أصلها من بلد زرع من أعمال دمشق، أشتهر شيوخها بتدريس الفقه على المذهب الحنبلي في مدارس دمشق الحنبلية كالمدرسة الصدرية، منهم الشيخ الشمس محمد المذكور، العلّامة الموسوعي المعرفة، كان رأساً في الفقه، فضلاً عن علم الحديث الشريف والتفسير وغيرها، معظّماً

(1) القرشي، محيي الدين عبد القادر بن محمد (ت775هـ/ 1373م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه (كراتشي: د.ت): 2/ 77؛ النعيمي، الدارس: 1/ 432.

(2) النعيمي، الدارس: 1/ 432.

(3) ابن تغري بردي، المنهل: 7/ 323؛ النعيمي، الدارس: 1/ 432 .

لدى الفضلاء، ألّف كتباً كثيرة جداً في مختلف العلوم، منها (القصيدة النّونية في السنّة)، و(نزهة المشتاقين وروضة المحبين)، و(الدّاء والدّواء)، و(مفتاح دار السعادة)، و(مصايد الشيطان)، و(الطّرق الحكمية)، و(أمثال القرآن)، و(شرح الأسماء الحسنى)، و(أيمان القرآن)، و(المسائل الطرابلسية) وغيرها الكثير، وتصدّر للإفتاء والتدريس على الفقه الحنبلي فتخرّج عليه العديد من الطلبة لاسيما في المدرسة الصدرية(1)، ثمّ أخذ عنه أربعاً من شيوخ اسرته تدريس الفقه في الصدرية الحنبلية وهم:

الشيخ الفقيه جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت756هـ/ 1355م) ابن الشيخ الشمس محمد، كان حاذقاً مناظراً، اعجوبة زمانه في العلوم، تولّى خطابة الجامع الخليخاني بدمشق(2).

وكذلك الشيخ الفقيه برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت767هـ/ 1356م) اخو الفقيه جمال الدين عبد الله، اخذ الفقه عن والده الشمس، وشارك في علوم اللغة العربية، شرح ألفية ابن مالك في كتاب سمّاه (إرشاد السالك إِلَى حل ألفيه ابن مَالك)، تولّى تصدير الجامع الأموي، وورث عن اخو الجمال خطابة الجامع الخليخاني، فضلاً عن تدريس الفقه الحنبلي في المدرسة الصدرية(3).

والشيخ الفقيه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن أيوب بن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت769هـ/ 1367م) عم الشيخ برهان الدين إبراهيم، كانت له عناية بعلم الحديث الشريف، واهتم ايضاً بعلم الفقه فدرّسه وفق المذهب الحنبلي في المدرسة الصدرية(4).

والشيخ الفقيه عماد الدين أَبو الفدا إِسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن قيّم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت799هـ/ 1369م) ابن الفقيه زين الدين عبد الرحمن، كان رجلاً حسناً فاضلاً ، أمتلك كتباً قيّمة ورثها عن عمّه الشيخ المصنّف شمس الدين محمد،

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات :8/ 287 .

(2) ابن مفلح، المقصد : 2/ 57 .

(3) ابن مفلح، المقصد : 1/ 235 .

(4) النعيمي، الدارس: 2/ 70.

ولا يبخل باعارتها، وكان يخطب بالجامع الخليخاني باكياً، وأخذ عن أبيه الزين عبد الرحمن وظيفة تدريس الفقه في المدرسة الصادرية الحنبلية(1).

04 الفقه المالكي :

- اسرة الشيخ الفقيه زين الدين ابو محمد عبد السلام بن علي بن سيد الناس الزواوي الدمشقي المالكي (ت681هـ/ 1282م)، وهي أسرة علمية دمشقية مغربية الأصل، أختصّ علماؤها بتدريس الفقه على المذهب المالكي في مدارس دمشق كالزاوية المالكية في الجامع الأموي، منهم الشيخ زين الدين عبد السلام المذكور، كان من الثقات العدول، برع في علوم القرآن الكريم والفقه، وأضحى حامل لواء المالكية ومفتيهم، أنتقل شاباً من المغرب الى مصر طالباً للعلوم، ومنها تحوّل إلى دمشق سنة (617هـ/ 1220م)، واستقرّ فيها، ثمّ عُيّن في منصب قاضي القضاة المالكية مكرهاً، وهو أول من تولّاه بدمشق، ثمّ عزل نفسه بعد تسع سنوات، واستمر بعدها في الافتاء، والتدريس في الزاوية المالكية(2).

ثمّ استلم بعده وظيفة التدريس في الزاوية المالكية ابنه الشيخ الفقيه جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن عبد السلام الزواوي (ت683هـ/ 1284م)، كان من فضلاء الدماشقة، قليل التكلّف والتكليف، تولّى نيابة القضاء عن والده، وبعد وفاته صار قاضياً للقضاة المالكية بدمشق لمدّة ثلاث سنوات(3).

رابعاً: علم الطب :

حظي علم الطب بالعناية الكبيرة في دمشق، فشُيّدت بها ثلاث مدارس للطب فضلاً

---

(1) ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن (ت909 هـ/ 1503م)، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان (الرياض: 2000م): 1/ 21 .

(2) الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1997م): ص: 364.

(3) النعيمي، الدارس: 2/ 4 .

عن البيمارستان النوري الذي أقامه السلطان نور الدين محمود زنكي (ت569هـ/1173م)[1]، وكانت هذه المدارس لها دور في استقطاب الاسر العلمية المتخصّصة بعلم الطب، حيث أهتمت هذه الاسر بوظيفة تدريس الطب في تلك المدارس، منها أسرة الشيخ الطبيب ابو يوسف حيدرة بن حسن الرّحبي، من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وأسرته أصلها من الرحبة في بلاد الجزيرة[2]، وقد حرص الشيخ حيدرة على تعليم ابنه علم الطب وهو الشيخ الطبيب رضي الدين أبو الحَجّاج يوسف بن حيدرة الرحبي الدمشقي (ت631هـ/ 1233م)، وُلد في الجزيرة، ثمّ انتقل مع ابيه الى نصيبين، ثمّ الرحبة، ومنها تحوّل إلى دمشق مقيماً فيها، كان متفنّناً بعلم الطب، كثير التحقيق فيه، عالي الهمّة، أفاد بعلمه أهل دمشق، فكان معالجاً لهم في البيمارستان النوري، ومدرّسهم في المدرسة الدخوارية الطبّية، فتخرّج على يده كبار أطباء المسلمين في دمشق والمدن الاخرى[3].

ثمّ تقلّد بعده وظيفة تدريس علم الطب في الدخوارية أبنه الشيخ الطبيب الشاعر شرف الدين ابو الحسن علي بن يوسف الرحبي الدمشقي (ت668هـ/ 1269م)، أخذ الطب عن أبيه فبرع فيه وأتقنه، وأضحى شيخ الاطباء وكبيرهم بدمشق، أمّا تدريسه في الدخوارية فكان بوصيّة من واقفها الشيخ الطبيب مهذب الدين ابو محمد عبد الرحيم بن علي الدخوار (ت628هـ/1230م)[4]، وكان يقول الشعر فمن أبياته[5]:

ساق بنو الدنيا إلى الحتف عنوة ... ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي

كأنهم الأنعام في جهل بعضها ... ما تمّ من سفك الدماء على بعض

(1) النعيمي، الدارس: 2/ 100، 104، 106، 108 .

(2) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت562هـ/ 1167م)، الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان (د.م: 1988م): 6/ 89.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث (القاهرة: 2006م): 16/ 267؛ النعيمي، الدارس: 2/ 100.

(4) النعيمي، الدارس: 2/ 100.

(5) النعيمي، الدارس: 2/ 102؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات :7/ 569.

المبحث الثالث: واقف المؤسسة التعليمية ودوره في التعيين لوظيفة التدريس:

لم يكن النظام الاداري والمالي والتعليمي في المدارس الدمشقية ابّان المدّة محور الدراسة يستند إلى ضوابط وتعليمات مركزية موضوعة من قبل السلطة الحاكمة في دمشق، وذلك لأن المدارس قد شُيّدت أو وُقفت من قبل أفراد لا حكومات، وعلى نفقتهم الخاصّة لا على نفقة الدولة، وفي نفس الوقت وَضَع هؤلاء البُناة أو الواقفين كتباً ضمّنوها الضوابط والتعليمات والشروط التي ستسير عليها مؤسساتهم العلمية التي استحدثوها، وكان من بين تلك الشروط التي وضعوها كقانون لمدارسهم أن تكون وظيفة فيها التدريس فيها باسم الواقف وعلماء أسرته، أو باسم شيخ معيّن ولذريته المؤهلين لوظيفة التدريس من بعده، فكان لذلك أثراً مباشراً في بقاء هذه الوظيفة محصورة داخل البيت العلمي الواحد، فمن هذه المدارس التي شُيّدت وفق هذا الشرط :

أولاً: المدرسة البلخية:

بناها الامير ككز الدقاقي بعد سنة (525هـ/ 1130م) بدمشق، وعرفت قديماً بدار ابي الدرداء ﷺ، وكذلك بخربة الكنيسة، وقد جعلها وقفاً باسم الشيخ المحدّث الفقيه الواعظ القاضي برهان الدين ابو الحسن علي بن الحسن البلخي الأصل الدمشقي (ت548هـ/ 1153م)، ونسبة له عرفت بالبلخية، وكان البرهان الشيخ البلخي ذا جلالة ووجاهة، وقد تولّى وظيفة تدريس البلخية، ومن ثم ولده من بعده شمس الدين محمد[1] .

ثانياً: المدرسة الحنبلية الشريفية :

أنشأها بدمشق الشيخ المفسّر الواعظ الفقيه شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد الأنصاري الحنبلي الشيرازي الاصل الدمشقي (ت536هـ/ 1141م)، شيخ الحنابلة في الشام، كان ذا حرمة وسؤددٍ ورئاسة وهيبة، ألّف كتاب (المنتخب في الفقه)، و(المفردات)، و(البرهان في أصول الدين)، أمّا مدرسته الحنبلية الشريفية فإنه وقفها

(1) الذهبي، سير : 15/ 85؛ النعيمي، الدارس: 1/ 368.

باسمه ولأفراد بيته، فتولّى وظيفة التدريس فيها خمساً من شيوخ بيته وهم :

الشيخ المحدّث الفقيه نجم الدين ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت 586هـ/ 1190م) ابن الشيخ شرف الاسلام عبد الوهاب، كان محترماً ومعظّماً بين الناس أفتى لهم ستين سنة[1].

ثمّ تقلّدها من بعده أبنه الشيخ المسند الفقيه شهاب الدين ابو الفضائل عبد الكريم بن النجم ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت619هـ/ 1222م)، أبرع أهل بيته بالفقه والمناظرة، وكان بصيراً بأحكام القضاء، شهماً قويّاً[2].

ودرّس في المدرسة الحنبلية أيضاً أخوه الشيخ الراوي الفقيه الواعظ المؤرّخ المصنّف ناصح الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن النجم ابو العلاء بن عبد الوهاب بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت634هـ/ 1236م)، جاب البلاد الاسلامية طالباً للعلوم وواعظاً فيها، نال القبول التام، كما حظي بحرمة عظيمة عند السلاطين والملوك، وخصوصاً سلاطين بني أيوب، وانتهت إليه رياسة المذهب بدمشق، ومن تصانيفه كتاب (أسباب الحديث)، و(الإنجاد في الجهاد)، و(تاريخ الوعّاظ)[3].

ثم تولّى تدريسها أبن اخيه الشيخ المحدّث الفقيه تاج الدين أبو منصور المظفر بن عبد الكريم بن النجم ابو العلاء بن الحنبلي الشيرازي الدمشقي (ت 667هـ/ 1268م)، كان حسن المعرفة، مفتياً عارفاً بالمذهب، لكنه أشتهر بالحديث الشريف أكثر من الفقه[4].

ثمّ درّس فيها أبن عمّه الشيخ المحدّث سيف الدين يحيى بن الناصح ابو الفرج عبد الرحمن بن الحنبلي الشيرازي (ت672هـ/ 1273م)، جدّ في طلب الحديث فسمعه من مشايخ بغداد والموصل ثمّ أسمعه في دمشق ومصر[5] .

(1) النعيمي، الدارس: 2/ 53؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات :6/ 469.

(2) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت795هـ/ 1392م)، ذيل طبقات الحنابلة، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة العبيكان (الرياض: 2005م): 3/ 275 .

(3) ابن العماد الحنبلي، شذرات :7/ 288 .

(4) النعيمي، الدارس: 2/ 56 .

(5) ابن مفلح، المقصد : 3/ 100 .

ثالثاً: المدرسة العزيزية :

تشير الروايات التاريخية أن هذه المدرسة كانت داراً للأمير اسامة بن منقذ الكناني (ت584هـ/ 1188م)، فأمر الملك العزيز أبو الفتح عثمان بن يوسف الايوبي (ت595هـ/ 1198م)[1]، قاضي القضاة الشيخ المحدّث الفقيه المنشئ الخطيب محيي الدّين ابو المعالي محمد بن علي بن الزكي القرشي الدمشقي (ت598هـ/ 1201م) أن يبنيها مدرسة، وأوكل إليه وظيفة التدريس فيها، فكان أوّل من درّس بها[2]، ثمّ تولّاها من بعده علماء بيته منهم أولاده الثلاثة كما ذكر المؤرّخ عبد القادر النعيمي قائلاً: ((000 ثم ولده علاء الدين ثم ولده الآخر زكي الدين ثم من بعده ولده الآخر بهاء الدين))[3]، فما يخص تدريس ولداه علاء الدين وبهاء الدين في هذه المدرسة، فإن النعيمي قد انفرد وحده بسرد هذه الرواية، ولم يذكر ترجمة لحياتهما في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس)، فضلاً عن عدم ذكرهم في المصادر التاريخية الاخرى، أمّا ولده الثالث فهو الشيخ المحدّث الفقيه قاضي القضاة بدمشق زكي الدين أبو العباس الطاهر بن محيي الدّين ابو المعالي محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت617هـ/ 1220م)، تولّى تدريس المدرسة العزيزية بعد أخوه علاء الدين، ومن خصاله أنه كان مهيباً حازماً في الأحكام، تعتليه الرياسة والوقار[4] .

ثمّ تولّى بعده تدريس العزيزية ابن اخي زكي الدين الطاهر وهو الشيخ المحدّث الأديب القاضي علاء الدين أحمد بن يحيي بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت680هـ/ 1281م)، كان رئيساً فاضلاً تخرّج على يد مشايخ بغداد في الحديث الشريف، ولكفاءته تولّى كتابة ديوان الانشاء بدمشق، ونيابة القضاء فيها عن أبيه قاضي القضاة محيي الدين ابو المفضّل يحيى بن الزكي (ت668 هـ/ 1269م)[5].

---

(1) الذهبي، تاريخ :12/ 1033 .

(2) النعيمي، الدارس: 290/1 – 295 .

(3) الدارس: 1/ 295 .

(4) ابن الصابوني , محمد بن علي (ت680هـ/ 1281م)، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ص 90؛ الذهبي، تاريخ :13/ 413 .

(5) الصفدي، الوافي :8/ 162 .

ثمّ تولّاها من بعده أخيه الشيخ المسند الفقيه المؤرّخ قاضي القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن يحيي بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت685هـ/ 1286م)، كان نبيلاً، حسن الشكل، ذكيّاً، بارعاً في العلوم، متبصّراً بالفقه وأخبار الماضين، مفوّهاً ذو ملكة عالية في الحفظ، حلو المحاضرة في درسه(1).

ثمّ استلم وظيفة تدريس العزيزية أخوه الشيخ الفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن يحيي بن محمد بن الزكي القرشي الدمشقي (ت699هـ/ 1299م)، كان من الصدور الرؤساء، تصدّى للافتاء، كما تولّى نظر الجامع الاموي والقضاء بدمشق(2).

ثم تولّاها حفيد الشيخ بهاء الدين يوسف المذكور سلفاً، وهو الشيخ المحدّث محيي الدين محمد بن محمد بن يوسف بن الزكي القرشي (ت735هـ/ 1334م)(3)، ومن بعده الشيخ المعمّر كمال الدين محمد بن القاضي محيي الدين بن الزكي القرشي (ت744هـ/ 1343م)(4).

وممّا تقدّم تبيّن أن المدرسة العزيزية التي أنشأها الملك العزيز عثمان قد تولّوا وظيفة التدريس فيها تسعة من علماء بيت ابن الزكي .

رابعاً: المدرسة المسمارية :

نشأت هذه المدرسة على عهد نور الدين زنكي، وأوقفها الشيخ التاجر حسن بن مسمار الهلالي المتوفي سنة (546هـ/ 1151م)، لتستمر في العهد الأيوبي، ويتولّى التدريس فيها الشيخ المحدث الفقيه وجيه الدين أبو المعالي أسعد بن المنجّا بن بركات المعرّي الاصل الدمشقي (ت606هـ/ 1206م) وقفاً بإسمه، ومن بعده لأفراد بيته، وأكّد ذلك الذهبي قائلاً: (("ومن أجله بنى الشيخ مسمار المدرسة ووقفها عليهم"))(5)، فكان فكان الشيخ الوجيه أوّل من درّس بها، وهو صاحب كتاب (النّهاية في شرح الهداية)،

(1) الذهبي، تاريخ :15/ 564.
(2) ابن العماد الحنبلي، شذرات :7/ 785.
(3) النعيمي، الدارس: 1/ 298.
(4) الذهبي، العبر :4/ 131.
(5) تاريخ :13/ 129

و(الخلاصة) في الفقه[1]، ثم أعطى تدريسها لأبنه الشيخ المقرئ المحدّث الفقيه القاضي شمس الدين أبو الفتوح عمر بن أسعد بن المنجّا المعرّي الدمشقي (ت641هـ/ 1243م)، كان صدراً نبيلاً، بارعاً في الفقه، بصيراً بغوامض الأمور، عارفاً بأحكام القضاء والشروط[2]، وقد شاركه في تدريس هذه المدرسة أخوه الشيخ المسند الفقيه عز الدين أبو عمر عثمان بن أسعد بن المنجّا المعرّي الدمشقي (ت641هـ/ 1243م)، أحد فضلاء بيت ابن المنجا وعدوله[3].

ثم تولّاها من بعده تدريس المسمارية أيضاً الشيخ المحدّث وجيه الدين أبو المعالى محمد بن العز عثمان بن المنجا الدمشقي (ت701هـ/ 1301م)، ناظر الجامع الأموي، وواقف دار القرآن الكريم بدمشق، ومن صفاته كان صاحب هيبة وحرمة، متديّناً، متصدّقاً، بارّاً بالفقراء، ثمّ تنازل عن تدريس المسمارية لابنه الذي توفي في حياته وهو الشيخ المحدّث الفقيه شمس الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجّا المعرّي الدمشقي (ت692هـ/ 1292م)[4]، أمّا الأخير فقد وُصف بحسن المنظر، ذو ديانة وانقطاع عن الخلق[5].

ثمّ أخذ تدريسها ابن عم الشيخ شمس الدين أحمد وهو الشيخ المحدّث الفقيه شرف الدّين ابو عبد الله محمد بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المُنجّا الدمشقي (ت724هـ/ 1323م)، كان من الصلحاء المتواضعين، كيّساً حسن الفهم، صاحب تقوى وغزارة علمٍ، حدّث بدمشق فسمعه كبار مشايخها[6].

وتولّى بعده وظيفة تدريس المسمارية الشيخ عز الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المنجّا الدمشقي (ت746هـ/ 1345م) وهو ابن الشيخ شمس الدين أحمد المتقدّم

---

(1) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ/ 1175م)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م: 1995م): 13/ 393.
(2) ابن رجب، ذيل : 3/ 490 .
(3) ابن العماد الحنبلي، شذرات :7/ 366 .
(4) ابن رجب، ذيل : 4/ 333 – 334 .
(5) النعيمي، الدارس: 2/ 93 .
(6) ابن رجب، ذيل : 4/ 459 .

عرضه، ومن صفاته أنه كان طيّب الأخلاق، خيّراً، وسيماً ذا بزّة حسنة، نال رضا واستحسان السلطة في دمشق فأسندت إليه حسبتها ونظر جامعها الأموي[1] .

وممّن تولّى تدريسها أيضاً الشيخ المحدّث الفقيه علاء الدين أبو الحسن علي بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجّا الدمشقي (ت750هـ/ 1349م) حفيد الشيخ عز الدين أبو عمر عثمان المتقدّم عرضه، أخذ الفقه عن أبيه، وتولّى قضاء الحنابلة بدمشق[2].

ثمّ درّس بعده في المسمارية أبن أخيه الشيخ المسند الفقيه نائب القضاء بدمشق صلاح الدّين أَبُو البركات محمد بن محمد بن المنجّا بن عثمان بن أسعد بن المُنَجّا الدمشقي (ت770هـ/ 1638م)[3].

وبالشيخ صلاح الدين محمد تاسع من تولّى تدريس المدرسة المسمارية من هذه الأسرة، تكتفي الدراسة بعرض الشواهد عن أثر الواقف في التعيين لوظيفة التدريس وحصرها بين أفراد الاسر العلمية الدمشقية وما بقي منها تعذّر حصره في هذا المبحث، لضيق المقام بالمقال.

المبحث الرابع: تنافس الاسر العلمية على وظيفة التدريس في مدارس دمشق :

أنجبت واستقبلت مدينة دمشق العشرات من الأسر العلمية خلال المدّة مدار البحث، ولعظيم أهمية وظيفة التدريس تنافست تلك الأسر على حصر هذه الوظيفة بين أفرادها دون التفريط بها، وبالتالي أنّ وجود مثل هكذا عدد كبير من الأسر العلمية، وما امتلكته من سمة الحرص العالي على تقلّد وظيفة التدريس، خلق ذلك جوّاً من التنافس بينها على هذه الوظيفة داخل المدارس الدمشقية، فكان من صور هذا التنافس وما تبلور عنها:

أولاً: تدرس الاسرة في أكثر من مدرسة :

---

(1) الذهبي، العبر :4/ 138؛ النعيمي، الدارس: 2/ 93 .

(2) النعيمي، الدارس: 2/ 32 .

(3) ابن حجر العسقلاني، الدرر :5/ 510 .

سردت المصادر التاريخية الكثير من الشواهد التي تتحدّث عن تقلّد علمــاء الاســرة الواحدة لوظيفة التدريس في أكثر من مدرسة، فمن هذه الأسر :

- أسرة الشيخ الفقيه تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكــافي الســبكي الدمشــقي (ت756هــ/ 1355م)، وهي اسرة علمية دمشقية أصلها من مصــر، تــولّى علماؤهــا وظيفة التدريس في أكثر من مدرسة دمشقية، منهم الشيخ تقي الدين علي المذكور، أشهر رجال هذه الأسرة، حصّل الكثير من العلوم، كالتفسير والقراءات والحديث الشريف والشعر والنحو والعطارة فضلاً عن علم الفقه الذي أتقنه، فكان المدقّق المحقّق المناظر فيه، تولّى تدريس المدرسة المسرورية، والعادلية الكبرى، والشامية البرّانية، والغزالية، والاتابكيــة، والركنية الجوّانية الشافعية بدمشق[1].

ثمّ جاء بعده أبنه الشيخ المحدّث الفقيه تاج الدّين أبو نصر عبد الوهــاب بــن علــي السبكي الدمشقي (ت771هــ/ 1369م)، قدم دمشق مَعَ والده، فأخذ العلوم عنــه وعــن مشايخها، وأجيز بالرواية، والإفتاء، والتدريس، وناب عن أبيه في القضاء، ثمّ استقل بــه قاضياً للقضاة في دمشق، فضلاً عن خطابة الجامع الأموي، أمّا تداريسه فإنه أخذ عن أبيه تدريس المدرسة المسرورية، والعادلية الكبرى، والشامية البرّانية، والغزالية[2].

وكذلك الشيخ الفقيه النحوي بهاء الدين أبو البقاء محمد بــن عبــد الْبــر الســبكي الدمشقي (ت777هــ/ 1375م)، تتلمذ على يد الشيخ تقي الدين السبكي ابن عــم أبيــه الشيخ سديد الدين عبد البر، وغدى من أعيان الدماشقة، فعُيّن على قضــاء دمشــق، ثــمّ طُلب لقضاء مصر، وعاد منها على وظيفته الاولى بدمشق، فضلاً عن خطابــة المســجد الأموي، وورث عن شيوخ اسرته تدريس المدرسة الغزالية، والعادلية الكبرى، والأتابكية، فضلاً عن تدريسه في مدارس اخــرى كالرواحيــة، والقيمريــة، والناصــرية الجوّانيــة، والظاهرية البرّانية، ودار الحديث الاشرفية[3].

ثمّ استلم بعده وظيفة التدريس أبنه الشيخ الفقيه بدمشق الخطيب ولي الدين أبــو ذر

---

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 27، 100، 214، 277، 322، 349؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات :8/ 308.

(2) ابن قاضي شهبة، طبقات :3/ 104.

(3) ابن قاضي شهبة، طبقات :3/ 127.

عبد الله بن محمد السبكي (ت785هـ/ 1383م)، تتلمذ على والده وغيره بدمشق، فاشتغل بالإفتاء والتدريس، واسند إليه منصب قاضي القضاة بدمشق سنة (770هـ/ 1368م)، وبقي فيه لمدّة ثمان سنوات ونصف، كما تقلّد وظيفة وكالة بيت المال، أمّا دوره في التدريس فقد أخذ عن والده تدريس مدارسه وهي: المدرسة القيمرية، والرواحية، والأتابكية، ودار الحديث الاشرفية[1].

وتولّى وظيفة التدريس أيضاً أخوه الشيخ المحدّث النحوي الخطيب بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد السبكي (ت803هـ/ 1400م)، تفقه بأبيه وغيره، له إطلاع في النحو والمعاني والبيان، ولي خطابة الجامع الأموي، كما تولّى القضاء نيابة في مصر، ثم استقل بقضاء دمشق بعد موت أخيه ولي الدين عبد الله، ومن صفاته أنه كان انساناً عاقلاً ديّناً ذا حشمة ورياسة، عديم الشر، فاضلاً وحليماً، حسن المحاضرة مع قلّة مطالعته، وقد تسلّم عن أبيه وأخيه تدريس المدرسة الأتابكية، والرواحية، الغزالية[2].

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ المقرئ جلال الدين محمد بن محمد بن محمد السبكي (ت814هـ/ 1411م)، طلب العلم في صباه، فاخذ عن ابيه القراءات، وبعضاً من النحو، تميّز بجمال الصورة والإقدام والجرأة، تولّى مشيخة الاقراء بعدّة مدارس، وكان يخطب بجامع التوبة خطباً حسنة بقراءة جيّدة، وأخذ عن أبيه تدريس المدرسة الأتابكية[3].

ثانياً: تدريس أكثر من اسرة داخل المدرسة:

تهافتت الاسر العلمية على المدارس الدمشقية كصورة من صور التنافس بينها لتولّي وظيفة تدريس العلوم فيها، فمن هذه المدارس :

01 المدرسة الأمينية : واقفها الأمير أمين الدين والدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكيني (ت541هـ/ 1146م) أتابك عسكر دمشق، ونائب قلعتي بصرى وصرخد[4]، تولّت وظيفة

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 30.
(2) السخاوي، الضوء : 9/ 88.
(3) النعيمي، الدارس: 1/ 102.
(4) الذهبي، تاريخ :11/ 777 .

تدريس العلوم فيها عدداً من الاسر العلمية منها :

- أسرة الشيخ المحدّث المفسّر الاصولي جمال الإسلام علي بن المسلم بن محمد السّلمي الدمشقي (ت533هـ/ 1138م)، أحد أعلام الشام ومشايخها، كان عالماً بالتفسير، والفرائض والأصول، إماماً ثبتاً ثقةً متقناً، حسن الخط، عمدة أهل الشام في فتاويه، صنّف في التفسير والفقه، ووُلّي تدريس المدرسة الأمينية سنة (514هـ/ 1120م)[1].

ثمّ جاء بعده ابنه الشيخ الواعظ الفقيه أبو بكر محمد بن علي السلمي الدمشقي (ت564هـ/ 1168م)، أخذ الحديث الشريف والفقه عن والده، وأمتاز بحسن الخلق وقلّة التصنع، تقلّد نيابة القضاء بدمشق، وخطابتها، وبعد وفات أبيه تولّى وظيفة تدريس المدرسة الأمينية[2].

وتولّى بعده وظيفة تدريس الامينية ابنه الشيخ المحدّث الفقيه شرف الدين أبو الحسن علي بن محمد السلمي الدمشقي (ت602هـ/ 1205م)، سمع الحديث الشريف من مشايخ دمشق وبغداد، وحدّث فيهما وفي مصر، وأهتم أيضاً بطلب الفقه فأضحت له اليد الطولى بالمذهب والخلاف، وكان فصيحاً في دروسه حسن العبارة، توفي والده فأخذ عنه وظيفة تدريس الأمينية[3].

- أسرة الشيخ عز الدّين حمزة بن أحمد بن حمزة الحسيني الدمشقي الاصل (ت874هـ/ 1469م)، نشأ بدمشق وأخذ علوموه منها وغيرها من البلدان الإسلامية، كالإقراء، والحديث الشريف، والفقه، والنحو، والمنطق، وتقلّد عدّة مناصب بدمشق وهي نيابة القضاء، وتصدير جامع بني امية، ورئاسة المؤذنين فيه، فضلاً عن تولّيه وظيفة التدريس

(1) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (د.م: 1992م): 7/ 235 .
(2) ابن كثير، طبقات الشافعيين، تح: احمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (د.م: 1993م): ص 670 .
(3) الذهبي، تاريخ :13/ 66 .

في المدرسة الأمينية[1].

ثمّ جاء بعده أبنه الشيخ الفقيه الاصولي كمال الدّين محمد بن حمزة بن حمزة الحسيني الدمشقي (ت933هـ/ 1526م)، أخذ علومه من أبيه وغيره من الشيوخ، حتى صار أحد العلماء المعوّل عليهم بدمشق في الفقه والأصول والعربية، وتقلّد منصب إفتاء دار العدل، كما كما تقلّد بعد والده وظيفة تدريس المدرسة الأمينية، فقصده الطلبة إليها[2].

02 المدرسة الغزالية : أو الزاوية الغزالية في الجامع الأموي، المنسوبة للشيخ الكبير ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ/ 1111م)[3]، تولّت وظيفة التدريس فيها جملة من الأسر العلمية الدمشقية منها :

- أسرة الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي الموصلي العراقي الاصل الدمشقي (ت598هـ/ 1201م)، أحد أعلام الفقه المشهورين، تفقّه ببغداد، ثمّ قدم دمشق شاباً طالباً للعلم، فأستوطنها وصار من رؤسائها، اسندت إليه خطابة المسجد الأموي، فضلاً عن تدريس المدرسة الغزالية فيه[4].

ثمّ جاء بعده ابن أخيه الشيخ المحدّث الفقيه جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن زيد الدولعي الدمشقي (ت635هـ/ 1237م)، وُلد في قرية الدولعية بالموصل، ثمّ رحل إلى دمشق، فتفقه على عمّه الشيخ ضياء الدين الدولعي، وقد أخذ عنه خطابة الجامع الأموي، وكذلك وظيفة تدريس الغزالية[5].

- أسرة الشيخ الفقيه عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن عبد الصمد

---

(1) النعيمي، الدارس: 1/ 152 .

(2) النعيمي، الدارس: 1/ 152؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات :10/ 271.

(3) النعيمي، الدارس: 1/ 313 .

(4) ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت 643هـ/ 1245م)، طبقات الفقهاء الشافعية، تح: محيي الدين علي نجيب، ط1، دار البشائر الإسلامية (بيروت: 1992م):2/ 570 .

(5) الذهبي، تاريخ :14/ 192 .

الحرستاني الدمشقي (ت662هـ/ 1263م)، كان من جلّة الشيوخ، صاحب وقار وسمت وتواضع، تتلمذ على والده في الفقه، وأشتغل بالإفتاء والمناظرة، وعُيّن قاضياً للقضاة بدمشق بعد وفاة أبيه، وتولّى الخطابة، فضلاً عن تدريس المدرسة الغزالية(1).

ثمّ جاء بعده أبنه الشيخ المحدّث الفقيه الخطيب محيي الدين أبو حامد محمد بن عبد الكريم الحرستاني الدمشقي (ت682هـ/ 1283م)، كان نبيهاً فاضلاً شاعراً، ملازماً بيته، طيّب الصوت في الخطبة، أستلم بعد أبيه منصب قضاء القضاة، ووظيفة تدريس الغزالية بدمشق(2).

وكذلك الشيخ تاج الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستاني الدمشقي، أحد شيوخ القرن السابع الهجري، كان ينوب عن والده الشيخ محيي الدين محمد في الخطابة، والتدريس في الغزالية(3).

الخاتمة :

وفي خاتمة البحث توصّلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمّها :

01 ان واقف المؤسسة التعليمية أو مشيّدها هو أحد الجهات المخوّلة بالتعيين لوظيفة التدريس .

02 المتعيّن في وظيفة التدريس هو صاحب وظيفة اخرى كأن يكون قاضياً او محتسباً او ناظراً للوقف وغيرها، ولكن تبيّن ان هذه الوظيفة هي الوحيدة التي اهتم بها العلماء واستمروا في مزاولتها، وبالتالي فهي تعد الوظيفة الرئيسة أمام الوظائف الثانوية الاخرى التي يمتلكها العالم، بل هي المحور الرئيسي التي تدور حوله الوظائف الاخرى بدمشق.

03 ظهور اسر علمية متماسكة أمتدّ إسهامها التعليمي لأكثر من 150 سنة .

04 هناك شيوخ تولّوا وظيفة التدريس بصفة مدرّس ونائب مدرّس في نفس الوقت ، وهذا يعني ان المرتبتين لها نفس المنزلة العلمية .

05 انّ بقاء وظيفة التدريس داخل الاسرة العلمية الواحدة تجسيداً عملياً حيّاً لصلة الارحام،

---

(1) ابن العماد الحنبلي، شذرات :7/ 536 .

(2) ابن كثير، طبقات : ص: 932 .

(3) النعيمي، الدارس: 1/ 320 .

والتعاضد بين أفرادها.

06 العامل المباشر في سمو وظيفة التدريس وبقاؤها برفعتها هي الاسرة التي حرصت علـــى تربية افرادها تربية علمية خالصة، والشاهد تتلمذ أغلب المدرّســين علــى يــد آبــاؤهم وأجدادهم .

07 أنّ المكانة العلمية العالية التي تمتّعت بها الاسر الدمشقية كانــت الســبب فــي اختيارهــا لوظيفة التدريس في مدارس دمشق، ولم يكن للمحسوبية مكان عنــد الشــروع بعمليــة الاختيار، وان دلّ هذا على شيء فهو يدل على مدى حرص أصحاب هذه المــدارس فــي ترصين العملية التعليمية فيها، والحفاظ على سلامتها من وباء المجاملات والتنازلات على حساب العلم وأهله.

References

_ Abdul Karim Bin Muhammad Bin Mansour Al-Samaani, Genealogy, Dar Al-Jinan, 1988, 89.

_ Abu Al-Fadl Ahmed Bin Ali, The Pearls Hidden In The Notables Of The Eighth Century, The Ottoman Encyclopedia Council, Hyderabad, 1972, 141.

_ Abu Al-Fida Ismail Al-Basri, The Beginning And The End, Dar Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising 1997, 219.

_ Ahmed Bin Al-Hassan Al-Dhahabi, Knowing The Great Readers On Layers And Cyclones, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1997, 364.

_ Burhan Al-Din Ibrahim Bin Muhammad, Al-Maqsad Al-Arshid, Al-Rushd Library, Riyadh, 1990, 335.

_ Ibn Hajar Al-Asqalani, The News Of Immersion In The Sons Of Al-Omar, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1986, 243.

_ Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin Abdullah, Al-Manhal Al-Safi And Al-Mustawfi After Al-Wafi, Egypt, 2005, 458.

_ Jamal al-Din Yusuf ibn al-Mubarrad, The Inscribed Essence In The Layers Of The Later Companions Of Ahmad, Obeikan Library, Riyadh, 2000, 21.
_ Taj Al-Din Al-Sobki, Abd Al-Wahhab Bin Ali bin Abd al-Kafi, The Giver Of Blessings And The Exterminator Of Stars, the Cultural Books Foundation, Beirut, 1986, 108.
_ Zain al-Din Abd al-Rahman, Tail Of The Hanbali Layers, Obeikan Library, Riyadh, 2005, 275.
Abdul Qadir Bin Muhammad Al-Nuaimi, The Studyer In The History Of Schools, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1990, 458.
-Safi Al-Din Abd Al-Mu’min Al-Qati’i, Observatories Of Seeing The Names Of Places And Bekaa, Dar al-Jil, Beirut, 1991, 211.
Shams al-Din al-Dhahabi, History Of Islam, Dar al-Gharb al-Islami, 2002, 931.
Shams Al-Din Al-Rahman, The Brilliant Light Of The People Of The Ninth Century, Dar Al-Hayat Library, 2007, 106.

Teaching job in Damascus schools during the Ayyubid and Mamluk periods

Riad Salim Awad*

Abstract

The scientific life in the city of Damascus greatly developed during the time of the Ayyubids and Mamluks, and this city became a center of science, the light of which extended to the most distant Muslim country, the most important reason for this scientific development was the presence of many educational institutions in Damascus during the rule of these two countries, such as the mosques, which numbered about (629), the houses of the Noble Qur'an and the noble hadith, which were numbered (26), in addition to (127) schools of jurisprudence, three schools of medicine, and dozens of other educational institutions such as al Ribat, al khanqah, al zzawiyya, as well as graves (turba), it is necessary to employ this large number of schools with a larger number of teachers, so the teaching job has gained great importance among those responsible for education in Damascus, and this city is also distinguished by having dozens of scientific families, who its scholars held the teaching position from one generation to the generation, and this is also one of the reasons for the development of educational schools, which have maintained their scientific sobriety for several centuries, due to the fact that this job remains in the hands of its scholars throughout those years.

Key words: Job, teaching, school, Damascus, Ayyubid, Mamluks.

∗**Lect./ History Department/ College of Arts/ University of Kirkuk**